مجلة أبوليوس
المجلد 09 العدد 02– جويلية 2022 الصفحات: 70- 87

تجربة النقد الثقافي عند عبد الله الغذامي -بين التنظير والتطبيق-

The Sufi Poetic Experience / From Creative Linguistic Formation to Spiritual Identification

د. فايزة لولو*
جامعة محمد الشريف مساعدية، سوق أهراس (الجزائر)
f.loulou@univ-soukahras.dz

تاريخ الاستلام: 2022/01/24 تاريخ القبول: 2022/07/08 تاريخ النشر: 2022/07/31

ملخص البحث:

يعد النقد الثقافي من أهم المناهج والنظريات النقدية التي أفرزتها دراسات ما بعد الحداثة، وقد جاء كرد فعل على المناهج السابقة التي ظلت تعنى بالأدب؛ إمّا في صورته الفنّية والجمالية (النقد الأدبي) أو باعتباره بنية لسانية شكلية (النقد البنيوي)، ومن ثمّة جاءت الدراسات الثقافية التي تهتم باستنطاق الأنساق المضمرة في النصوص؛ وربطها بسياقاتها الثقافية والتاريخية التي أنتجتها، محاولة بعد ذلك فهمها وتفسيرها وفق رؤيا ثقافية موسّعة.

في هذا المقام؛ يحضر الناقد الكبير عبد الله الغذامي كأول من أرسى معالم النقد الثقافي عند العرب؛ من خلال منجزه النقدي "النقد الثقافي-قراءة في الأنساق الثقافية العربية- " ذاهبا فيه إلى ضرورة الاشتغال على النقد الثقافي كبديل معرفي ومنهجي للنقد الأدبي؛ لأجل الحفر في النصوص عميقا، وكشف الأنساق المضمرة في أغوارها، ذلك أن النقد الأدبي؛ وإن أفلح في قراءة النصوص جماليا وفنّيا؛ إلا أنه تعامى عن العيوب النسقية المختبئة تحت عباءة الجمالي. والتي ساهمت في التّستر على عيوب الثقافة العربية.

تسعى هذه الورقة إلى الإجابة عن التساؤلات الآتية: ما الروافد الفكرية والمعرفية التي شكّلت مرجعيات النقد الثقافي عند الغذامي؟ كيف أرسى عبد الله الغذامي أسس ومرتكزات النقد الثقافي –مرجعيات الرؤيا النقدية -؟

الكلمات المفتاحية: النقد الثقافي، النقد الأدبي، النسق الثقافي، الدراسات الثقافية.

Abstract:

Cultural criticism is one of the most significant critical approaches and theories produced by postmodernist studies. It came as a reaction to previous approaches that continued to deal with literature, either in its artistic and aesthetic form (literary criticism) or as a formal linguistic structure (structural criticism). Hence, cultural studies emerged, which are interested in exploring the implicit patterns of texts and linking them to the cultural and historical contexts produced, then attempting to understand and interpret them according to an extended cultural vision. In this context, the great critic Abdullah Alghadhami is the first to establish Arab cultural criticism through his critical work "Cultural Criticism - Reading in Arab Cultural Texts". He addressed the need to engage in cultural criticism as a cognitive and systematic alternative to literary criticism in order to dig deep into the texts and uncover the implicit and hidden patterns. Literary criticism, while working to read texts aesthetically and artistically, has been blind to systemic flaws hidden under the covering of aesthetic, which have contributed to wrap up the flaws of ancient and modern Arab culture. This paper seeks to answer the following question: What are the intellectual and cognitive pillars that have formed the cultural criticism references according to Alghadhami? How did Abdullah Alghadhami lay the foundations of cultural criticism -references of critical vision-?

Keywords: Cultural criticism, literary criticism, cultural pattern, cultural studies.

* المؤلّف المراسل

مقدّمــة

درج النقد الأدبي العربي –وغير العربي- منذ ظهوره على البحث في جمالية النصوص الإبداعية، حيث شغلت قيمة الأدبية باعتبارها جوهر العمل الأدبي حيّزا واسعا في ميدان النقد على مرّ قرون من الزمن، فمنذ العصر الجاهلي والناقد يلهث وراء المبدع باحثا عن الأثر الفنّي والجمالي لإبداعاته، ومن ثمّة، تراوحت العملية النقدية بين الجيّد والرديء والجمالي والقبيح، على أن تكون غايتها الأولى دون الثانية؛ نقصد التحيّز لكل ما هو جميل وفنّي وأدبي، دون النظر فيما هو دون ذلك؛ باعتبار أن الأدب في الحقيقة سمّي أدبا لأدبيّته ومضامينه الجمالية والفنّية.

ظلّ الأمر كذلك ردحا من الزمن، إلى أن جاء ما سمّي بالنقد الثقافي الذي أخذه الفضول إلى التساؤل عمّا وراء الأدبية؛ ما حظّ غير الجمالي من النقد الأدبي ؟ هل يمكن للقبيح في النصّ الأدبي أن يحظى باهتمام العمليّة النقديّة؟ وهل الجيّد هو فقط ذلك النص الذي يحمل أكبر قدر من الجماليّة؟ ثم ماذا نكون قد كسبنا إذا ما نحن ظفرنا بتلك الجمالية وطمرنا كل ما هو قبيح وسترناه؟

لقد درجت المؤسسة النقدية العربية على استبعاد كل ما هو هامشي منحطّ قبيح ضعيف، وأعلت من كل ما هو مؤسساتي راقٍ، إما بدافع التراتبية الاجتماعية للكتّاب؛ أو بفعل المعيار البلاغي الذي يراهن على القيمة الجمالية للنصوص، ويذكر الجاحظ في هذا السياق في أحد كتبه أنّه كان يكتب ثم ينسب كتاباته لأبي حيّان التوحيدي؛ لما لهذا الأخير من حظوة اجتماعية؛ ومكانة مؤسساتية؛ غير تلك التي كانت للجاحظ في بداية مشواره الكتابي.

وعليه؛ يعدّ النقد الثقافي أحد المناهج الما وراء حداثية التي استطاعت الارتقاء بالعملية النقدية؛ والبحث في الأنساق المضمرة في الخطاب، ويعدّ عبد الله الغذامي من أشهر من أصّل لهذا المنهج عند العرب، حيث بسط مفاهيمه وبيّن أسسه ومقوماته ومصطلحاته، محاولا تطبيقه على الشعر العربي قديمه وحديثه، وذلك في العديد من كتاباته لعل أشهرها كتاب "النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية" الذي ستبحث فيه دراستنا هذه.

ومن ثمة، انطلقنا من عدة إشكاليات أهمّها:

- ما مدى حاجة النقد العربي إلى النقد الثقافي؟ هل الدعوة إلى النقد الثقافي حاجة معرفية أم هي مجرد موضة نقدية؟ وهل فعلا النقد العربي تجاوز النقد الأدبي إلى النقد الثقافي؟ ما مدى قناعتنا بنتائج النقد الثقافي عند الغذامي من خلال قراءته للشعر العربي؟ ثم هل حقّا كلّ ما هو جمالي هو بالضرورة يضمر عيوبا ثقافية؟ أسئلة وأخرى نحاول مناقشتها عبر هذه الورقة البحثية من خلال هذه المحاور.

أولا: المرجعيات المعرفية والفلسفية لمشروع النقد الثقافي عند الغذامي:

كل مشروع نقدي لا يمكن أن يتأسّس من فراغ، وإنما لابدّ وأن يكون قد انبنى على مجموعة من الرؤى والخلفيات الفكرية والفلسفية والمعرفية، حيث يتّكئ عليها لتشكيل منطلقاته الفكرية، وبناء منظومته الاصطلاحية؛ والمتأمّل في المسيرة النقدية لعبد الله الغذامي؛ يلاحظ لا محالة ذلك الثراء المعرفي والنقدي الذي تأسّست عليه رؤيته النقدية، خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار غزارة إنتاجه من جهة، وتحوّلاته النقدية والمنهجية التي صاحبت هذا الإنتاج من جهة أخرى، فقد استقى من مختلف المناهج والنظريات النقدية الغربية خاصة (فضلا عن العربية طبعا)، حيث يشير إلى ذلك بقوله: " في

الواقع أنا لست بنيويا، أنا أستخدم البنيوية ولكني من حيث التصنيف العلمي أنا ناقد ألسني، الشيء الوحيد الذي أنا ملتزم به هو مبدأ النقد الألسني، أنا أستخدم البنيوية في أوقات معينة واستخدامي لها هو استخدام انتقائي، أنا استخدم بعض أدواتها وأرفض أدوات أخرى مثلما أني استخدم أدوات السيميولوجيا وبعض أدوات التشريح وبعض أدوات الأسلوبية ."1 تؤكد المقولة أنه كان على وعي بعملية الانتقاء لهذه المناهج، حيث يستثمر منها ما يتناسب والنص العربي ذا الخصوصية الثقافية والأدبية وإن كنا لا نطمئن كثيرا إلى هذا الوعي في بعض المحطات النقدية.

إنّ هذه المناهج المشار إليها في قول الغذامي ليست وحدها التي تبناها في كتاباته النقدية، وإنما هناك الكثير من النظريات الغربية الأخرى؛ الأوروبية منها والأمريكية قد تبناها الناقد عبر مراحل تحولاته النقدية، ولا يمكننا الإلمام بها كلها في هذا المقام، كما أنه لا يهمّنا ذلك بشكل كبير، وإنما الذي نسعى للبحث فيه هو مرجعيات النقد الثقافي عنده، مركّزين بشكل أدق على كتابه-ومن ثم منهجه- :" النقد الثقافي – قراءة في الأنساق الثقافية العربية" . وعليه؛ يمكننا أن نؤصّل لهذه المرجعية من خلال الإشارة إلى بعض الروافد النقدية والفلسفية التي تغذّى منها الفكر النقدي الغذامي . وذلك كما يلي:

1- التفكيكية: إنّ استراتيجية التفكيك" تنطلق من موقف فلسفي مبدئي قائم على الشكّ. وقد ترجم التفكيكيون هذا الشكّ الفلسفي نقدا إلى رفض التقاليد، رفض القراءات المعتمدة، رفض النظام والسلطة من ناحية المبدأ."2 إن التفكيكية كما أصّل لها جاك ديريدا وميشال فوكو تقوم على مبدأ الهدم والخلخلة لكل المفاهيم والمركزيات المتوارثة عبر تاريخ الفكر الغربي الطويل. وفق هذه الرؤيا راح الغذامي يعيد قراءة الشعر العربي قديمه وحديثه وفق آلية الهدم والشكّ والبحث عن الأنساق المضمرة ، وهو في ذلك يتناصّ مع مقولة الحفريات التي جاء بها ميشال فوكو، حيث قام هذا الأخير" بتحويل ميدان الاشتغال من النص إلى الخطاب والإفصاح عن مضمرات الخطاب الغربي وعلاقته بالسلطة والقوة والهيمنة، أين قام أيضا بكشف وتعرية الخطاب المؤسساتي الغربي. "3 الخطاب الغربي بكل أشكاله السياسية والدينية والثقافية، وهو الموقف نفسه الذي فعله الغذامي من خلال الحفر في الخطاب السياسي العربي ممثّلا في نموذج رجل السلطة " صدام حسين" وهو ما فصل فيه بعمق تحت عنوان"صناعة الطاغية " .

2- التاريخانية الجديدة: وهي إحدى إفرازات مرحلة ما بعد البنيوية أو النقد اللساني، وتعني هذه النظرية أن النص الأدبي معني باحتواء التاريخ والقيم التاريخية والاجتماعية والثقافية، وامتصاصها عبر آلية الإبداع، وهذا ما جعله يدخل ضمن حيز التاريخ،" هذا الاستيعاب المعزز هو الذي يمكّن كثيرا من النصوص الأدبية من البقاء مع انهيار الظروف التي أدت إلى إنتاجها، كما أن القدرة الاستيعابية للنصوص هي التي تحمل كذلك إلى ظروف مشابهة في أزمان أخرى تالية، ومن هنا يمكن أن نرى خطورة النصوص الأدبية؛ وخصوصا إذا كانت بعض تلك القيم التي تحملها داخل أنسجتها قيما سلبية أو تتشكل في صور سلبية في عقول متلقيها الجدد"4 .

إن هذا المبدأ القائل بإمكانية الاحتفاظ بالقيم السلبية للنصوص الأدبية عبر التاريخ أو عبر أحقاب زمنية طويلة، تلتقي في حدود ما مع ما طرحه الغذامي بخصوص فكرة النسق أو العنصر النسقي،

فقد انطلق من مبدأ ما أسماه" أرخنة النصوص أو تنصيص التاريخ "5 بمعنى ارتباط النص الأدبي بالسياق التاريخي الذي أنتجه، ذلك أن" النص وسياقه التاريخي كلاهما مكوّن تبادلي أساسي، أي أن كلا منهما يخلق الآخر ويكوّنه تماما مثل التفاعل الحيوي بين الهوية الذاتية للفرد ومجتمعه، فالنصوص الأدبية تشكّل وتتشكل من سياقاتها التاريخية"6 ، ذلك أن النص هو وليد السياق التاريخي، وهذه الفكرة تحيلنا إلى ما أشار إليه الغذامي في منهجه بالعنصر النسقي ذي الوظيفة النسقية التي ترتبط إلى حدّ كبير بالسياق التاريخي الثقافي للنص.

3- النقد النسوي الغربي: شكل النقد النسوي محطة بارزة في سياق ظهور المناهج المابعد حداثية الغربية، وهو في أبسط مفاهيمه تلك النظرية التي تنشغل" بالمسائل المرتبطة بالجنوسة مثل عدد النساء مقارنة بالرجال في النصوص المعروضة في وسائل الإعلام الجماهرية، ودور المرأة في النصوص الدرامية والاستغلال الجنسي لجسد المرأة في النصوص، والنظرة الذكورية في النصوص والقيم والمعتقدات الموجهة للمرأة والكيفية التي قدمت بها المرأة في الأنواع الأدبية والوعي النسائي في المشكلة..."7 هذه الرؤيا هي التي تبناها الغذامي في الكثير من كتبه منها" تأنيث القصيدة والقارئ المختلف" وأيضا " المرأة واللغة"، ثم فيما بعد كتاب" النقد الثقافي"؛ حيث ظل الغذامي عبر هذه الكتابات يركّز على العنصر الأنثوي من خلال طرح فكرة الفحولة الطاغية على المجتمع والثقافة العربية سواء فعليا أي اجتماعيا، أو عبر آلية اللغة أو الكتابة(شعريا) .

4- فلسفة كبار ممثلي النقد الغربي: استفاد الغذامي في بلورة رؤيته النقدية من مختلف الرؤى الفكرية الفلسفية التي شكّلت منهجا قائما بذاته في الفكر الغربي ، أو رؤيا فلسفية ذات توجهات فكرية واضحة المعالم مثّلها نقّاد وفلاسفة ومفكرون غربيون، حيث لاحظنا في الآونة الأخيرة من تاريخ الفكر الغربي تشعّب النظريات النقدية وتنوّعها وتفرّعها إلى فروع فلسفية تستمد آلياتها المنهجية والإجرائية من مختلف الحقول المعرفية، الأمر الذي أخرج النص الأدبي من حيّزه المحدّد والضيق ليلتقي مع مختلف فروع المعرفة الأخرى، وهو ما عرف فيما بعد بالدراسات البينية.

إنّ المتأمل في فكر الغذامي يجده يتقاطع أو يتفاعل مع الكثير من أفكار ممثلي الفكر الغربي الحديث، نذكر مثلا:

ميخائيل باختين: وذلك من خلال المبدأ الحواري الذي اعتمده في التحليل الروائي، أو نظرية الرواية. حيث انطلق من مبدأ أن الرواية تعود في أصولها إلى الاحتفالات الشعبية، أو ما يعرف بالكرنفال في بعض الثقافات، هادفا بذلك إلى " خلخلة مونولوجيات الخطابات الدغمائية السائدة الإيديولوجي منها والتيلوجي."8 نجد هذه الرؤيا متجلية في النقد الثقافي عند الغذامي من خلال تجاوز الخطابات الرسمية إلى الخطابات الهامشية، والتركيز على قبحيات النص لا جمالياته.

أما رولان بارت فقد ركز في كثير من مقالاته على المقاربة السيميائية لنقد المعيش واليومي " ذلك الذي تهيمن عليه معايير وقيم الطبقة البرجوازية المخطوفة بنزهة الاستحواذ على المتع المبتذلة ."9 وهو ما صار يعرف فيما بعد بسيميائية الثقافة التي طرحها بعمق في كتابه" أسطوريات". نجد لذلك صدى في فكر الغذامي من خلال التركيز على الخطابات الهامشية كالإشهار والإعلانات التليفزيونية وغيرها.

ويندرج في السياق ذاته؛ إنجازات " فوكو" ودريدا" و"جيل دولوز" وتشومسكي" وبيير بورديو" وما يجمع بينها ككل هو نقدها أو نفضها للمركزيات التقليدية القارّة في سياق حضاري كامل، رغم أن هذه الأعمال وهذه النظريات لم تكن تبحث عن بديل معرفي ونظري لما تنتقده أو تنقضه، لأنها كانت كتابة ضد نظرية قارّة وثابتة يمكن أن تتحوّل إلى معيق للكتابة الحرة المتدفقة، فهذه الكتابات الجديدة كانت تحاول استحضار قضية الإنسان بعيدا عن النزعات الإنسانوية التقليدية"10.

من جهة أخرى؛ لا يمكن أبد أن نتغافل عن المرجع الأساسي للغذامي بخصوص فكرة النقد الثقافي ونعني به الناقد الأمريكي " فنسنت ليتش" الذي رجع إليه الغذامي كثيرا في تأسيسه للمنهج حيث تجلّت أفكاره في العديد من مؤلفات الغذامي بدءا من " الخطيئة والتفكير" لتبرز بعمق في كتابه " النقد الثقافي" بدءا من التسمية والمصطلح النقدي لهذا المنهج، وصولا إلى أغلب أساسيات النقد الثقافي كما بسطها ليتش، وقد أشار الغذامي إلى هذا التأثر في ثنايا كتبه. هكذا إذن؛ يكون الغذامي قد استفاد من المنجز النقدي الغربي في بناء مشروعه النقدي الثقافي؛ بمختلف تمظهراته خاصة تلك النظريات النقدية الأمريكية على رأسها التاريخيانية الجديدة، النقد النسوي، نقد الثقافة، التفكيكية ...وغيرها، فضلا عن اتّكائه على مختلف طروحات الفكر الغربي الذي مثّله نقاد غربيون بارزون أمثال : رولان بارث، فينسنت ليتش، غراميشي، ميشال فوكو، تودوروف، أمبيرتو إيكو، جيل دولوز، وغيرهم، الأمر الذي جعل من نظريته في النقد الثقافي فسيفساء استقت من مختلف الدراسات الثقافية، ممّا جعل وعيه النقدي أكثر نضجا وأكثر فهما لاستثمار الآليات الإجرائية في استنطاق النصوص.

إلا أن ذلك لا ينفي أن الناقد قد وقع (شأنه في ذلك شأن الكثير من النقاد العرب) في فخ الإسقاطية حيث قفز في الكثير من محطاته النقدية على الخصوصية الثقافية التي تميّز النص العربي، ومن ثم الوعي العربي ليسقط النظريات الغربية جزافا على النصوص العربية وعلى السياق العربي، ولعل هذا ما توجس منه الكثير من النقاد إثر انتقادهم لمشروع الغذامي؛ حيث يرون أن الساحة النقدية العربية لم تستوعب بعد -كما ينبغي- المناهج النقدية الغربية الحداثية منها؛ فكيف يتمّ القفز إلى المناهج ما بعد حداثية .

ثانيا: النقد الثقافي عند الغذامي...سؤال في المفهوم والأسس:

النقد الثقافي في أبسط مفاهيمه هو النقد الذي يتجاوز النص؛ ليبحث في الأنساق المضمرة المتخفّية وراء الخطاب، فهو أحد مناهج ما بعد الحداثة التي تتعامل مع النص بوصفه حادثة ثقافية؛ وليس مجرد حدث أدبي فحسب، ويعرّفه عبد الله الغذامي بقوله:" النقد الثقافي فرع من فروع النقد النصوصي العامّ؛ ومن ثمّ فهو أحد علوم اللغة وحقول الألسنية؛ معنيّ بنقد الأنساق المضمرة التي ينطوي عليها الخطاب الثقافي بكلّ تجلياته وأنماطه وصيغه، ما هو رسمي وغير مؤسساتي؛ وما هو كذلك سواء بسواء من حيث دور كل منهما في حساب المستهلك الثقافي الجمعي، وهو لذا معنيّ بكشف؛ لا الجمالي كما هو شأن النقد الأدبي؛ وإنما همّه المخبوء من تحت أقنعة البلاغي والجمالي."[11] هذه الأقنعة البلاغية التي أصابتنا بالعمى الثقافي على حدّ تعبيره؛ وحالت دون مساءلة الكثير

من الإشكاليات والمسائل الفكرية والثقافية والأدبية التي حوتها نصوص؛ بدت في الظاهر على قدر من الجمالية، ولذلك يضيف الغذامي،"وكما أن لدينا نظريّات في الجماليات؛ فإنّ المطلوب إيجاد نظريات في القبحيات، لا بمعنى البحث عن جماليات القبح بما هو إعادة صياغة وإعادة تكريس للمعهود البلاغي في تدشين الجمالي وتعزيزه؛ وإنّما المقصود بنظرية القبحيات؛ كشف حركة الأنساق وفعلها المضاد للوعي وللحسّ النقدي."[12] وهو ما يمكّننا من النظرة الشمولية للخطاب، وكشف الستار عن مضمراته ومخبوءاته.

ويعرّفه ميجان الرويلي وسعد البازغي في كتابهما" دليل الناقد الأدبي" بقولهما:" في دلالته العامّة؛ يمكن القول إنّ النقد الثقافي كما يوحي به اسمه؛ نشاط فكري يتّخذ من الثقافة بشموليتها موضوعا لبحثه وتفكيره، ويعبّر عن مواقف إزّاء تطوّراتها وسماتها..." [13] وهو بذلك يبحث في ملابسات التشكّل وملابسات التلقّي على حدّ سواء؛ ولذلك يشير عبد الله الغذامي إلى أنّ النقد الثقافي لا يُعنى بنقد الثقافة في صورتها المطلقة المجردة؛ وإنّما هو معنيّ بنقد المستهلك الثقافي؛ أي الاستقبال الجماهيري والقبول القرائي لخطاب ما، ولذلك يشبّهه بعلم العلل عند أهل الحديث حيث يقول:" هو إذن نوع من (علم العلل) كما عند أهل مصطلح الحديث؛ الذي يبحث في عيوب الخطاب ويكشف عن سقطات في المتن أو في السند، ممّا يجعله ممارسة نقدية متطوّرة ودقيقة وصارمة، ولاشكّ أن البحث في علل الخطاب منهج قادر على تشريح النصوص، واستخراج الأنساق المضمرة ورصد حركتها."[14] فالنقد الثقافي بهذا المعنى هو البحث في العلل المضمرة للخطاب، هذه العلل التي تتجاوز الغايات الجمالية والبلاغية، بل تتّخذها مطيّة لتمرير أنساق خطابية تتنافى أو تتعارض مع ما يبدو جماليّا أو بلاغيّا.

في هذا السياق؛ يشير محمد عابد الجابري؛ إلى أن التغافل عمّا وراء الخطابات في الثقافة العربية سمح بالكثير من الظواهر الثقافية والاجتماعية والفكرية؛ أن تظلّ راسخة في الوعي العربي دون أن تلقى من يزعزعها أو يعيد مساءلتها من جديد؛ ممّا حال ببعضها أن تصبح مسلّمة غير مشكوك فيها. يقول: " هناك إذن أشياء كثيرة لم تتغير في الثقافة العربية منذ الجاهلية إلى اليوم، تشكّل في مجموعها ثوابت هذه الثقافة، وتؤسّس بالتالي بنية العقل العربي."[15] هذا الأخير الذي كما يصفه الناقد" الطاهر لبيب" عقل تسليمي لا يسائل ولا يفعّل آلية النقد على الأشياء التي تعترضه-إلا في حدود ضيّقة-، الأمر الذي حدا به إلى أن يسلّم بالكثير من المسائل والأفكار العقيمة أو الهشّة، والتي أعاقت حركيّته فيما بعد، وعبر مساره الحضاري والثقافي الطويل.

ينطلق عبد الغذامي في تأسيسه لهذه الرؤيا الجديدة في النقد العربي (النقد الثقافي) من اعتقاده أن الآليات البلاغية التقليدية، لم تعد قادرة على استنطاق النصوص والخطابات كونها حبيسة الرؤيا الجمالية؛ التي وإن كانت قد أفصحت عن النصوص الراقية فنّيا وإبداعيا، وأوقعت في نفوسنا ارتياحا جماليا تجاه هذه الخطابات؛ إلّا أنّها تغافلت أو تعامت عمّا تحت هذه الجمالية من أنساق مضمرة يقول: " لقد أدّى النقد الأدبي دورا مهمّا في الوقوف على جماليات النصوص، وفي تدريبنا على تذوق الجمالي وتقبّل الجميل النصوصي، ولكن النقد الأدبي مع هذا وعلى الرغم من هذا أو بسببه؛ أوقع نفسه وأوقعنا في حالة من العمى الثقافي التامّ عن العيوب النسقية المختبئة من تحت عباءة الجمالي، وظلّت العيوب النسقية تتنامى متوسّلة بالجمالي

الشعري والبلاغي؛ حتى صارت نموذجا سلوكيا يتحكّم فينا ذهنيّا وعمليّا وحتى صارت نماذجنا الراقية- بلاغيا- هي مصادر الخلل النسقي."[16]

ويضيف أن النقد الأدبي بآلياته التقليدية ورؤيته المنهجية المحدودة؛ قد وصل إلى سنّ اليأس، ولم يعد بإمكانه استنطاق الخطابات المستحدثة في ظلّ هذا التطوّر في العلوم والمعارف والاتجاهات والمذاهب الفكرية والمنهجية.

تبدو هذه الرؤيا متحيّزة للدراسات الثقافية إلى حدّ بعيد، هذه الأخيرة التي وإن كان لها الفضل في نبش مضمرات الخطاب والكشف عن مكامنه العميقة؛ والحفر بعيدا في دلالاته وأبعاده، إلا أنّه - حسب ما نرى ويرى الكثير من النقاد-، يبقى للنقد الأدبي دوره في المفاضلة بين النصوص، من حيث قيمتها الجمالية وخصوصياته الفنّية، وإلا فإنّ تجاوز الجمالية في الخطاب يوقعنا في مطبّات تساوي النصوص من جهة، وجفائها من جهة أخرى، كما أن الدعوة إلى موت النقد الأدبي وإحلال مكانه النقد الثقافي؛ فيها نوع من الارتجالية والحماسية غير المبررة، فضلا عن المراهنة المفرطة على هذا المنهج الجديد في حلّ كل مشكلات النقد والخطاب على حدّ سواء، والأجدر بنا وبعبد الله الغذامي هو التقريب بين النقد الأدبي والنقد الثقافي؛ والمصالحة بينهما في صورة تفاعلية تستطيع إضاءة النصوص جماليا وثقافيا في الآن ذاته. ذلك أن الجري وراء العيوب النسقية هو الوقوع في الأمر ذاته، حيث فيه تغافل عن جماليات الخطاب، وهو ما يجعلنا نتساءل بصورة ضدية: هل مهمّة الناقد فقط هي البحث عن العيوب النسقية المضمرة دون النظر فيما يتمتّع به النصّ من طاقة جمالية وفنيّة؟ ومن ثم الذهاب بأدبية الأدب.

من جهة أخرى نلاحظ أن الغذامي قد تسرّع كثيرا في تبني النقد الثقافي كمنهج له قدرة سحرية على حلّ كل مشكلات النقد العربي، ففي مستهل كتابه:- نجده من خلال محور " ذاكرة المصطلح وذاكرة المنهج"- يتبنى هذا المنهج بشيء من القبول والتسليم المطلق بآلياته وإجراءاته المنهجية، والتعويل عليها بشكل مطلق وصورة متعامية في قراءة النصوص العربية وكشف عيوبها النسقية، وهو بذلك يكون قد وقع في فخ الإسقاطية التي لا تليق بالبحث العلمي، ذلك أن لكل ظاهرة أدبية عللها التاريخية وأنساقها الاجتماعية والثقافية، ولا يعقل استيراد هذه المناهج وإسقاطها جزافا لتفسير النصوص دون مراعاة لمنطق الاختلاف والتباين، وبذلك يكون الغذامي كغيره من نقاد كثيرين قد وقع في مصيدة " نسقية قابعة في أعماقنا منذ اكتسحنا وأغرانا فكر الآخر الغربي ومنهجه في معالجة مشكلاته، فرحنا نسقطها على مشكلاتنا بدعوى تجرّدها من التاريخ والثقافة والعرق والدين، ليكون مسوّغا إدماجها في أوضاعنا المختلفة جذريا عن الأوضاع التي نجم عنها ذلك الفكر وذلك المنهج."[17]

رغم ذلك يبقى النقد الثقافي في مشروع الغذامي النقدي خطوة منهجية وعلمية مهمّة جدّا استطاعت أن توسّع من دائرة النقد وأن تعيد الاعتبار للكثير من النصوص المهمّشة والمتغافل عنها، كما حدّت من المبالغة في الحفاوة بالنصوص الرسمية التي تبدو مركزية ومبجّلة بحجة أنساقها الجمالية والفنّية، وهنا يرى عبد الله الغذامي أنّ الأداة النقدية العربية ظلت لعهود طويلة مشروطة بما هو مؤسساتي ورسمي، وقد آن الأوان لتحريرها من هذا التحيّز والميل لكل ما هو نخبوي، ومن ثم تسويقه وفرضه على الاستهلاك الثقافي. الأمر الذي نتج عنه" عمليات

استبعاد كثيرة؛ حيث هناك فنون راقية ومن تحتها ودونها تأتي أشياء لا تمنحها المؤسّسة صفة الرقي، كلّنا نعرف كيف جرت معاملة "ألف ليلة وليلة" التي اعتبرت ممّا لا يليق إلا بالصبيان والنساء وضعاف النفوس، وهذه صفات تكشف عن النسق الثقافي الذي يتحرّك وفقه الخطاب البلاغي الرسمي في نظرته إلى الآخر المختلف والضعيف كالمرأة والطفل، وفي نظرته إلى خطاب ينتسب إلى هؤلاء الضعفاء ممّا يجعله محتقرا مثلهم. وفي مقابل ذلك نرى تقديرا عاليا لكتاب "كليلة ودمنة" لأنه ينتسب إلى المؤسّسة الثقافية الرسمية، فكاتبه أو مترجمه هو أحد فحول الخطاب الثقافي كما أنه كتاب معمول للملوك، ومن يوصفون بالعقلاء، وهو لذا ينطوي على الحكمة والعقل، لا على متعة السفهاء كما في ألف ليلة وليلة..."[18] هذا؛ وإن كان النثر العربي تقريبا ظل في دائرة الهامش لعهود طويلة وذلك لتفوّق الشعر عليه ثقافيا ونقديا، وليس فقط ألف ليلة وليلة كما يشير الناقد.

إنّ صفة الهرمية والتراتبية والطبقية والتصنيفية ...كلّها سمات راسخة في الوعي العربي، ليس فقط اجتماعيا بين الرجل والمرأة والصغار والكبار، بل أيضا ثقافيا وأدبيا، فقد تقدّم الشعر على الأجناس الأدبية الأخرى، وتقدّم الأدب الرجولي على الأدب النسوي، وتقدّم أدب الكبار على أدب الصغار أو أدب الطفل. وتقدّم الأدب الرسمي على الأدب الشعبي أو الهامشي .

وعليه؛ فإن الدراسات الثقافية والنقد الثقافي بشكل أخصّ جاءت لتخفيف الهيمنة النقدية، وإعادة الاعتبار للنصوص الهامشية، هذه الدراسات التي" كسّرت مركزية النص، ولم تعد تنظر إليه بما أنه نصّ؛ ولا إلى الأثر الاجتماعي الذي قد يظن إنه من إنتاج النص، لقد صارت تأخذ النص بما فيه وما يتكشف عنه من أنظمة ثقافية، فالنص هنا وسيلة وأداة، وحسب مفهوم الدراسات الثقافية ليس النص سوى مادة خامة يستخدم لاستكشاف أنماط معينة من مثل الأنظمة السردية والإشكاليات الأيديولوجية، وأنساق التمثيل وكل ما يمكن تجريده من النص، لكن النص ليس الغاية القصوى للدراسات الثقافية وإنما غايتها المبدئية هي الأنظمة الذاتية في فعلها الاجتماعي في أي تموضع كان بما في ذلك تموضعها النصوصي."[19]

لكن ليس معنى ذلك تجاوز النقد الأدبي والتنكّر لفعالية آلياته في استنطاق النصوص الأدبية. إن النقد الثقافي لم يكن بديلا عن النقد الأدبي كما يرى الغذامي في بداية مشواره مع مشروع النقد الثقافي (لأنه قد تراجع عن رأيه فيما بعد)، وإنما " جاء لسدّ بعض الفراغات المعرفية والمنهجية للنقد الأدبي والمتمثلة أساسا في الوقوف عند حدود شكل النص أو مضمونه.فالنص الأدبي من منظور النقد الثقافي أصبح ينظر إليه باعتباره علامة ثقافية لا يمكن فهمها وتفسيرها وتأويلها إلا من خلال موقعها داخل النسق الثقافي الخاص والمشترك، لم تعد القراءة الثقافية للنصّ الأدبي تقف عند حدود تفسير مضامين النص؛ بل إنها تجاوزت ذلك لاستكشاف واستنباط الأنساق الثقافية المضمرة خلف البناء الجمالي للنصوص الأدبية. "[20] لم تعد قراءة النص تنتهي عند خصوصياته الجمالية ومضامينه الفكرية، بل تجاوزت ذلك للبحث عن الأنساق الثقافية المضمرة، ومن ثم تحوّلت النصوص من نصوص أدبية إلى نصوص ثقافية، ومعنى هذا التحوّل هو إعادة الاعتبار للنصوص الهامشية والمقصية ثقافيا، لأنّ المؤسسة الأدبية ظلت دائما في تحيّز للأدب الرفيع، ولذلك أصبح الاهتمام في ظلّ الدراسات الثقافية " بجميع أشكال

التعبيرات الأدبية؛ كالحكاية الشعبية والأسطورة والأمثال الشعبية وجميع أشكال الخطابات الأدبية منها وغير الأدبية التي كان ينظر إليها من قبل المؤسسة الرسمية على أنها نصوص مبتذلة وتافهة."[21]

رغم ما يمكن أن يثار حول مشروع الغذامي – النقد الثقافي- من مواقف إيجابية وأخرى سلبية، ورغم تعثّر الرؤيا لديه في بعض المحطات؛ إلا أنّنا لا نستطيع التنكّر للقفزة النوعية التي أحدثها في النقد العربي، والتي حصره الناقد سعيد يقطين في مزيتين أساسيتين هما:

- " تتمثل أولاهما في المساهمة في تطوير فكرنا الأدبي والنقدي، ودفعه إلى التفكير والبحث بدل الاستسلام لجاهز الرؤيات والتصورات التي هيمنت أمدا طويلا من الدهر في النظر والعمل.
- وتبرز أخراهما في تقديم معرفة جديدة وإنتاج خطاب جديد بصدد الأدب والمعنى والقراءة، وما يتّصل بمجمل هذه القضايا الأدبية وأبعادها الثقافية والاجتماعية." [22]

ثالثا- النسق الثقافي:

يحدّده الغذامي من خلال وظيفته لا من خلال جوهره، حيث يرى أن الثقافة السائدة هي التي تنتج أنساق الخطاب، ومن ثم تحدّد وظيفته،"يتحدّد النسق عبر وظيفته وليس عبر وجوده المجرّد، والوظيفة النسقية لا تحدث إلا في وضع محدد ومقيّد، وهذا يكون حينما يتعارض نسقان أو نظامان من أنظمة الخطاب؛ أحدهما ظاهر والآخر مضمر، ويكون المضمر ناقضا وناسخا للظاهر، ويكون ذلك في نص واحد، أو فيما هو في حكم النص الواحد، ويشترط في النص أن يكون جماليا وأن يكون جماهريّا. وإنما الجمالي ما اعتبرته الرعية جميلا..." [23]

فالنسق الثقافي بهذا المعنى يقتضي وجود النسق الجمالي بالضرورة، قصد التخفّي وراءه، بمعنى أن يحوي النص قيمة جمالية يضمن من خلالها تلقّيا جماهريّا، وقيمة ثقافية لا يمكن الإفصاح عنها إلا عبر قيم جمالية بشكل مضمر.

ويعرّفه في مقام آخر : "يأتي مفهوم النسق المضمر في نظرية النقد الثقافي بوصفه مفهوما مركزيا، والمقصود هنا؛ أنّ الثقافة تملك أنساقها الخاصة؛ التي هي أنساق مهيمنة وتتوّسل لهذه الهيمنة عبر التخفّي وراء أقنعة سميكة، وأهمّ هذه الأقنعة وأخطرها هو دعوانا قناع الجمالية أي أنّ الخطاب البلاغي الجمالي يخبّئ من تحته شيئا آخر غير الجمالية، وليست الجمالية إلا أداة تسويق وتمرير لهذا المخبوء؛ هناك شي نسقي مضمر ويعمل الجمالي عمل التعمية، وتحت كل ما هو جمالي هناك شيء نسقي مضمر ويعمل الجمالي عمل التعمية الثقافية لكي تظل الأنساق فاعلة ومؤثرة ومستديمة من تحت القناع."[24] فالقيم الجمالية والبلاغية ليست إلا أدوات تسويقية للقيم الثقافية، وعلى الناقد الثقافي ألّا ينخدع بها، وأن يواصل الحفر عن الأنساق المضمرة في الخطاب قصد الوقوف عند العيوب النسقية التي تمّ تمريرها في أثواب وأقنعة بلاغية. وقد استلهم نادر كاظم في هذا السياق عبارة رولان بارت القائلة " مقاومة براءة الأشياء " وحاول إسقاطها على النصوص؛ حيث يرى قياسا على العبارة السابقة " مقاومة براءة النصوص التي رأى فيها الفكرة الأساس التي بُني عليها النقد الثقافي، إذ علينا" أن ننزع عنها وجهها الجميل والبرّاق ...لنقع على فعلية النسق وأفاعيله ."[25] لأنّ النص أو الخطاب الأدبي ليس مفصولا عن خلفياته الاجتماعية والثقافية بل هو على علاقة جدلية معها، ومن ثم

فإنّ الثقافات هي التي تنتج نصوصها، هذه الأخيرة التي لا تحمل استقلاليتها في ذاتها، وإنما هي كما عبّر عن ذلك عبد الفتاح كيليطو " ليس للنسق الثقافي بطبيعة الحال وجود مستقل وثابت، إنّه يتحقّق في نصوص تداعبه أحيانا؛ وفي الحالات القصوى تشوّشه وتنسبه."[26] وعليه؛ فالنص لم يعد من إنتاج مؤلف معروف ينسب إليه، وإنما هو من إنتاج الثقافة، فهو مزيج مختلط تبعا للأنساق الثقافية السائدة، ذلك أنّ النسق الثقافي " هو بكل بساطة مواضعة (اجتماعية، ودينية، وأخلاقية، استيتيقية...) تفرضها في لحظة معينة من تطوّرها الوضعية الاجتماعية والتي يقبلها ضمنيا المؤلف وجمهوره، وهكذا يكون أفق النصوص المفردة والإنجازات الفردية هو النص الثقافي؛ الذي يجعلها ممكنة وفي الوقت نفسه يحدّ من مدى مساءلاتها وينتج عن ذلك أنه لا يمكن اعتبار أي نصّ مغلقا أو متوحّدا أو مصوغا من كتلة، إنّه منفتح على نصوص أخرى، ومعرفيات أخرى يدمجها في بنيته وتمنحه مظهرا مختلطا ومتجزّئا ."[27]

وعليه؛-تماشيا مع مفهوم النسق عند الغذامي- وجب علينا الحذر من كل النصوص الجميلة، والتي حقّقت قبولا وإقبالا جماهيريا، لأنّها حتما تضمر عيوبا نسقية خفيّة، لكن هل فعلا كل النصوص الجميلة تضمر بالضرورة عيوبا نسقية؟ ثم أليس المغالاة في التنقيب عن هذه العيوب هو تغافل عن جوهر الأدب وهو القيمة الأدبية؟

من جهة أخرى، أشرنا آنفا أنّ الغذامى يقول بعجز النقد الأدبي بل ويعلن موته، فاسحا المجال للنقد الثقافي ليقوم بمهمّة النقد، ثم نراه يقيم مفهوم النسق على حتمية أن يكون النص جماليّا وذا أثر جماهيري؛ وهنا نقع في بعض التناقض إذا ما تبنّينا هذا الموقف؛ إذ كيف لنا أن نتبيّن جمالية النصّ وجماهيريته دون أن نفّعل آلية النقد الأدبي؟ بمعنى إذا كان النقد الثقافي موكولا إليه البحث في الأنساق المضمرة، وهي في الغالب عيوب نسقية، فمن يقوم بمهمّة الكشف عن القيمة الجمالية والبلاغية للنصوص، والتي في الأغلب أيضا –حسب اعتقاد الناقد- مجرد أقنعة تسويقية للمغزى الثقافي المضمر؟

رابعا- مقولات النقد الثقافي عند الغذامي:

يحاول الغذامي وهو يؤصّل لمفهوم النقد الثقافي أن ينتقل بالأداة النقدية من طبيعتها الأدبية (النقد الأدبي) إلى طبيعتها الثقافية (النقد الثقافي) فلم تعد الأداة النقدية معنية بقراءة النصوص قراءة أدبية أي الوقوف على أدبية النص، وإنما أصبحت معنية بتأويل النص وكشف مضمراته وأنساقه الموظّفة توظيفا ثقافيا لتمرير حيل المؤسسة الثقافية الرسمية –على حدّ تعبيره- ولكي تنتقل الأداة النقدية من كونها الأدبي؛ إلى كونها الثقافي وجب تغيير آلياتها المنهجية وأدواتها الإجرائية؛ ومن ثم فقد قام بنقلة اصطلاحية لكل المقولات النقدية التي كانت معتمدة في النقد الأدبي. وأعطاها اصطلاحا جديدا يتماشى مع الكون النقدي الجديد (النقد الثقافي) وذلك كالآتي:

01- **الوظيفة النسقية**: معلوم أن رومان جاكوبسن حصر النموذج الاتصالي في ست عناصر هي: المرسل، المرسل إليه، الرسالة، الشفرة، أداة الاتصال والسياق، وقد نتج عن ذلك ست وظائف للغة هي تبعا لهذه العناصر: وظيفة ذاتية وجدانية، وظيفة إخبارية نفعية، وظيفة مرجعية (السياق)، وظيفة معجمية، وظيفة تنبيهية، ووظيفة شاعرية. ...يأتي الغذامي محاولا تعديل النموذج الاتصالي من خلال إضافة عنصر آخر هو العنصر النسقي، ومن ثم تضاف وظيفة أخرى للوظائف الست هي الوظيفة

النسقية، ويعني بها التركيز على العنصر النسقي وهي التي تمكن الناقد من توجيه نظره " نحو الأبعاد النسقية التي تتحكّم بنا وبخطاباتنا مع الإبقاء على ما ألفنا وجوده وتعودنا على توقّعه في النصوص من قيم جمالية وقيم دلالية ."[28] بمعنى الحفر في الأنساق المضمرة للخطاب.

02- المجاز الكلي: يؤكّد الغذامي أنّ المجاز هو قيمة ثقافية أكثر منه قيمة بلاغية جمالية، ذلك أن "هناك أنماطا سلوكية ثقافية تتحكم تتحرك وتتفاعل، وعبر هذا التحرك والتفاعل تتخلق نماذج للقول تسود في الخطاب، ومن ثم يأتي الاستعمال الذي يعني وضع الخطاب في وظيفة بأن تجعله يعمل ويعمل به، وهنا يولد التعبير المجازي ولادة ثقافية تخضع لشروط الأنساق الثقافية التي نسميها بالاستعمال وما الاستعمال سوى المسمى الإجرائي للفعل الثقافي ذي الطابع العمومي الجمعي."[29] يحاول الغذامي أن يوسع من دائرة المجاز حيث لم يعد محصورا في ثنائية: الحقيقة / المجاز، كما هو الشأن في البلاغة القديمة، وإنما أصبح للمجاز مفهوم كلّي يتسع ليشمل ما أسماه بالأبعاد النسقية في الخطاب.

03- التورية الثقافية: التورية هي إحدى المحسنات البديعية البلاغية المعروفة في النقد البلاغي القديم، وتعني أن يحمل النص معنيين: معنى قريبا ليس هو المقصود ومعنى بعيدا هو المقصود. انطلاقا من هذا الازدواج الدلالي يؤسّس الغذامي مفهومه عن التورية الثقافية، ولا يعني بها ازدواج المعنى وإنما ازدواج النسق، يقول :" ...ونحن هنا نوسّع مجال التورية لا لتكون بهذا المعنى البلاغي المحدّد ولكننا نقول بالتورية الثقافية أنّ الخطاب يحمل نسقين لا معنيين، واحد هذين النسقين واع والآخر مضمر. "[30] والآخر المضمر هو المقصود.

04- الدلالة النسقية: انطلاقا من إضافته للعنصر السابع في النموذج الاتصالي ومن ثم الوظيفة السابعة للوظائف الاتصالية (الوظيفة النسقية) فإن الغذامي يضيف نوعا آخر من الدلالة هي الدلالة النسقية، فإذا كان النقد الأدبي يتراوح بين دلالتين دلالة صريحة ودلالة ضمنية، وهذه الأخير هي التي تخلق الجمالية، فإنه في النقد الثقافي هناك نوع ثالث من الدلالة هي "الدلالة النسقية التي ترتبط في علاقات متشابكة نشأت مع الزمن لتكون عنصرا ثقافيا أخذ بالتشكّل التدريجي إلى أن أصبح عنصرا فاعلا لكنه وبسبب نشوئه التدريجي تمكن من التغلغل غير الملحوظ، وظلّ كامنا في أعماق الخطابات ..."[31] فالدلالة النسقية بهذا المعنى تتعلّق بمضمرات الخطاب التي يستعصى على النقد الأدبي الوصول إليها بآلياته النقدية المحدودة في البحث عن الجمالي - حسب ما يرى الغذامي.-

05- الجملة الثقافية:إذا كان النقد الأدبي قائما على نوعين من الجمل هما الجملة النحوية ذات الدالة اللغوية والجملة الأدبية ذات الدلالة الفنية فإنّ الغذامي يضيف نوعا ثالثا من الجمل هو الجملة الثقافية ذات الدلالة الثقافية، وهي تعني عنده:" الجملة الثقافية المتولّدة عن الفعل النسقي في المضمر الدلالي للوظيفة النسقيّة في اللغة."[32] ومن ثم يصبح النصّ عند الغذامي ثلاثيّ الأبعاد وفقا لعدد الجمل التي يحتويها : البعد النحوي ، البعد الجمالي ، البعد الثقافي. وهذا الأخير هو الأهمّ لأنه مكمن الحيل الثقافية الممرّرة خلسة عبر الجمالي وعلى الناقد الثقافي أن يكتشفها .

06- المؤلف المزدوج: لم تعد عملية التأليف والكتابة عملية فردية معلومة المؤلّف كما هو الشأن مع النقد الأدبي، حيث كنا نتعامل مع النصوص ونحن على

علم ودراية بمؤلّفها الحقيقي والفعلي ... مع النقد الثقافي النص لا يكتبه صاحبه أو مؤلّفه فحسب؛ بل هو اشتراك مع الثقافة، هذه الأخيرة التي يسميها الغذامي بالمؤلّف المضمر وهو " ليس صيغة أخرى للمؤلف الضمني؛ وإنما نوع هي من المؤلف النسقي كما هو الشأن في حركة النسق ومفعوله المضمر."[33] فالثقافة هي التي تكتب النصوص في الحقيقة، وما الكاتب أو المؤلّف إلا الأداة المباشرة التي أخرجت النصّ في صورته الجمالية. يقول في موضع آخر "إنّنا نقول بمشاركة الثقافة كمؤلف فاعل ومؤثر، والمبدع يبدع نصّا جماليّا فيما الثقافة تبدع نسقا مضمرا، ولا يكتشف ذلك غير النقد الثقافي بأدواته المقترحة هنا"[34] وهو هنا يقرّ مرة أخرى بعجز أدوات النقد الأدبي عن استكناه المضمر الثقافي في النصوص والخطابات.

خامسا- الغذّامي قارئا للشعر العربي وفق آلية النقد الثقافي:

انطلاقا من المفاهيم السابقة يقارب الغذامي الشعر العربي وفق رؤيا جديدة، وتفسير مغاير؛ حيث وقف عند مجموعة من الشعراء أمثال: المتنبي وأبو تمام ونزار قباني وأدونيس ...داعيا إلى إعادة القراءة لهذه الأشعار من منظور النقد الثقافي. ذلك أنّ هذه النماذج الشعرية وجدت شرعيتها عبر آليات النقد الأدبي الذي بالغ في الاحتفاء بما تتمتّع به هذه النصوص الشعرية من طاقات جمالية، في حين تغافل أو تناسى أنها تضمر عيوبا نسقية تمّ التستّر عليها عبر بلاغة العبارة الشعرية. ولعلّ نسق الفحولة هو إحدى أهم الأنساق الثقافية التي سيطرت على الشعر العربي، وعملت على توجيهه منذ العصر الجاهلي إلى يومنا هذا، حيث ظل هذا النسق متوارثا بين الشعراء بشكل مضمر، ممّا سمح بتمريره من قبل الثقافة العربية التي ظلّت رهينة هذا النسق، ومن ثم تحكّم في منظوماتها السياسية والأخلاقية والاجتماعية وغيرها، ويمكننا الوقوف عند هذه الإشكالية في فكر الغذامي كما يلي:

أ- الفحولة نسق ثقافي مضمر في الشعر العربي:

يعود نسق الفحولة إلى الثقافة العربية القديمة، وقد بدأت الفحولة طبيعيا، ثم تحوّلت اجتماعيا وشعريا وقد تنبّه الغذّامي إلى أن نسق الفحولة يعدّ" من أخطر المخترعات الشعرية/الثقافية وهو مصطلح ارتبط بالطبقة (طبقات فحول الشعراء)، وارتبط بالتفرّد والتعالي (الشعراء أمراء الكلام)، مثلما ارتبط بتوظيف اللغة توظيفا منافقا (يصورون الحقّ في الصورة الباطل والباطل في صورة الحق.)"[35] وهو ما سمح بمرور الكثير من العيوب الثقافية في وعينا العربي وتاريخنا الثقافي.

جاء في" مقاييس اللغة: كتاب الفاء، باب الفاء والحاء وما يثلثهما: "فحل: الفاء والحاء واللام أصل صحيح يدل على ذكارةٍ وقوة، ومن ذلك الفحل من كل شيء وهو الذكر الباسل."[36] وجاء في" القاموس المحيط:" الفحل الذكر من كل حيوان ... ورجل فحيل: فحل ... وفحول الشعر الغالبون بالهجاء من هاجاهم، وكذا كل من إذا عارض شاعرًا فضَّل عليه."[37] وجاء في" اللسان "باب اللام، فصل الفاء: "والفحول: الرواة"[38]

نستشف ممّا سبق؛ أن مصطلح" الفحولة" ارتبط لدى العرب بذكر الحيوان بوصفه معنى أوليًّا، ثم انتقل لمجال الشعر، فصارت" الفحولة "بمعنى الاقتدار على قول الشعر والتمكّن من ضروبه، وصار بذلك أحد المقاييس المهمّة للموازنة والمفاضلة بين الشعراء؛ أي: إنه انتقل من حقل الطبيعة إلى مجال النقد..

لاحظ الغذامي أيضا؛ أن نسق الفحولة يمتد بجذوره إلى العصر الجاهلي؛ وقد ظلّت فروعه إلى يومنا هذا، وقد أصّلت لهذا النسق كتابات نقد الشعر القديمة منذ طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي، وكذا كتاب شعراء الفحولة للأصمعي وغيرها، كما تجلّت الفحولة عند الشعراء أنفسهم حيث تحوّل الشعر من مفهومه الجماعي حيث كان يعبرّ عن الجماعة ولسان حال القبيلة؛ إلى مفهومه الفردي حيث يتعالى الشاعر بشعره وينسبه إلى ذاته.

إن مفهوم الفحولة الشعرية الذي صاغته مؤسسة النقد القديمة نتجت عنها الفحولة الثقافية أو الفحل الثقافي، الذي ظل لصيق الوعي العربي إلى يومنا هذا، لقد تولّد عن مفهوم الفحولة كنسق إقصائي للآخر ومعلٍ للذات والأنا أنّنا نجد:" القيم الناسخة للآخر والتي ترى أن المكانة المعنوية لا تتحقّق إلا بإلغاء الآخرين، وهذا الإلغاء لا يتمّ إلا عبر الظلم، وهذه قيمة جاهلية مركزية، ..انتقل هذا الإلغاء من صوت القبيلة إلى الأنا، حيث أخذت فصيلة الفحل تظهر وتتمثل شعريّا، حيث انتقلت من فحولة القبيلة (كما تمثّله قصيدة عمرو بن كلثوم: ألا لا يجهلنّ أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا) إلى فحولة الفرد (كما تمثله قصيدة زهير: ومن لا يظلم الناس يُظلم)وبدأ الفرد النسقي بالظهور."[39] وهكذا ارتبط نسق الفحولة اجتماعيا وثقافيا بمظاهر التسلّط والظلم والاستبداد، والطغيان والسيطرة على الآخر، في مقابل التعالي والإعلاء من الذات والأنا ولو على حساب ذلك الآخر.

إنّ نسق الأنا المتعالية ظلّت لصيقة بالذات العربية، ولم تتجلَ فقط عبر اللغة الشعرية للشعراء القدامى؛ بل حتّى في الكتابات النثرية فيما بعد، نلمس ذلك في عناوين الكتب القديمة التي كان أصحابها يتخيّرونها بعناية فائقة لتعبرّ عن مفهوم التعالي والكبر، فمن ذلك نذكر " لسان العرب"،"الكامل في اللغة والأدب"، "المقدمة"،"الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة"، "الإحاطة في أخبار غرناطة"، "معجم العين" " البيان والتبيين"،"العقد الفريد"" جواهر الأدب"، ....وغيرها، لقد استطاعت البلاغة التي أوتوها العرب فطرة وسليقة؛ أن تكون وعاء مناسبا لاحتواء وتمرير هذه الأنا المتعالية كنسق مضمر في الخطابات الشعرية والنثرية على حدّ سواء، والشعر لا يترجم ولا يجوز عليه النقل كما يقول الجاحظ لأنّه متعال عن الترجمة بلغته البلاغية.

ب – نسق الفحولة وتوارثه عند الشعراء:

شكّلت الفحولة المكوّن البؤري في الشعر العربي، وعليها دارت أغلب أشعار العرب الشهيرة قديما وحديثا، وقد تجلّت الفحولة بدءا من أشعار المتنبي الذي مارس هذا النسق عبر غرض الفخر؛ حيث تمادى في الاعتداد بنفسه وتضخيم أناه الطاغية والمتمردة، لقد أضمر المتنبي عبر أشعاره الرغبة في التمركز حول ذاته في صورة متعالية من النرجسية وتقديس الذات في مقابل تقزيم الآخر وإقصائه . يستحضر الناقد قول المتنبي :

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي ****وأسمعت كلماتي من به صمم

فالخيل والليل والبيداء تعرفني**** والسيف والرمح والقرطاس والقلم

ماأبعد العيب والنقصان عن شرفي **** أنا الثريا وذان الشيب والهرم[40]

وكذا قوله:

أيّ محلّ أرتقي ***أي عظيم أتّقي

وكل ما خلق الله ***وما لم يخلق

محتقر في همتي **كشعرة في مفرقي[41]

والأمثلة كثيرة لأشعار المتنبي التي وقف عندها الناقد باحثا عن ما وراء الأدبية فيها، حيث رأى في غرضي الفخر والمدح في شعر المتنبي أنهما علّة الاستبداد السياسي الذي ظل يلاحق المجتمعات العربية من خلال رفع شأن الممدوح والمبالغة في الثناء عليه، والتستر عن عيوبه وأخطائه وهو ما صنع نموذج الطاغية في النظام العربي.

قبل ذلك يقدّم لنا الناقد بيتا لجرير تضمّن نسقا فحوليا مضمرا حيث يقول:

" أنا الدهر يفنى الموت والدهر خالد**** فجئني بمثل الدهر شيئا يطاوله

حينما يقول جرير ذلك –يعقّب الغذامي-" فإنه يستند إلى رصيد ثقافي متجذّر تقوم فيها الأنا مقاما أساسيا وجوهريا ويعتمد الخطاب على هذه الأنا اعتمادا مصيريا إلى درجة يصبح معها هذا القول هو الجملة الثقافية ليس للشاعر فحسب؛ وإنما للثقافة ككلّ والأنا هنا لا تتكلم عن جرير وحده؛ ولكنها الأنا النسقية / الثقافية المغروسة في ذهن جرير وبدوره يزيد من بثها وتعميمها. ولذا نلاحظ احتفاء المدوّنين والكتاب بهذه الأنا لأنها تمثّل نسقا مشتركا وليس الأنا الجريرية فحسب."[42] ظل هذا النسق مغروسا في لا وعي الثقافة العربية باعتباره مرتبطا بالثقافة وليس فقط بالشعراء كأفراد؛ ولذلك نلاحظ توارثه حتى مع الشعراء المحدثين والحداثيين، فهذا نزار قباني مثلا وهو أحد روّاد الحداثة العربية المعاصرة يتوارث هذا النسق (الفحولة) بكل تمظهراته، فقد وضع نفسه"في الموضع المتعالي وموضع الغلو الفاحش / أليس يقول إن الشاعر هو الإله وأنه يحمل بين رئتيه قلب الله وأن على الناقد أن يقف موقف المتعبد أمام مبدعات الفحل الأسطوري ...؟بما أنه يحمل هذا الموروث الفحولي بكامل نسقيته فإنه حتما سيتمثل هذه الفحولة شعريا، وهاهو ينصب نفسه مانحا عبيده القراء والقارئات لجنات هي جناته ولنيران هي نيرانه يقول: إني خيرتك فاختاري / ما بين الموت على صدري /أو فوق دفاتر أشعاري/لا توجد منطقة وسطى/ما بين الجنة والناري"[43]

يجاهر نزار بذاتيته المتعالية معبّرا عن مورث ثقافي متأصّل في الذات العربية منذ العصر الجاهلي –كما أشرنا آنفا- حيث يقول منذ البداية:" النرجسية عطري الجميل الذي لا أستغني عنه مثلما المرأة لا تستغني عن مشطها وكعبها وأساورها، أنا بدون نرجسية وردة بلا رائح... وامرأة بلا أنوثة... ، وزيادة في النرجسية أقول: إنّ مئات الخيول تركض هذه الأيام على ملعب الشعر ولكنّني لا أجد حتى الآن حصانا استطاع أن يتجاوز سرعتي أو يعلو صهيله صهيلي.."[44] إنّ هذا الشعور بالتعالي الفاحش؛ ظل يلازم نزارا عبر مساره الشعري الطويل، ولم يستطع التخلّص منه ولا حتى التخفيف من حدّته، ولعلّ هذا ما حدا بالناقد عبد الله الغذامي إلى القول بتشكّل الأنا الطاغية في شعر نزار، وقد تجلّى ذلك في أشعاره عبر ضمير الأنا أو ضمير المتكلم، الذي ورد بكثرة في جميع أشعاره حتى ليخيّل إلينا أن القصيدة قيلت في نفسه؛ لا في المرآة التي يعشقها أو يدّعي عشقها. يقول:

"أنا من هديت الريح.../ إلى شعرك المرسل/أنا الدنيا/أنا زمانك / أنا أبعادك كلها "[45] ويقول:

كتبت بالضوء عن عينيك / هل أحد سواي بالضوء عن عينيك قد كتبا؟/أنا أنا ...بانفعالاتي وأخيلتي/ تراب نهديك قد حولته ذهبا[46]

إنّ هذا الهوس النرجسي والحبّ المفرط للذات، وصل بالفحل إلى عبادة ذاته؛ لما له بها من شغف واستكبار يقول:

مارست ألف عبادة وعبادة / فوجدت أفضلها عبادة ذاتي[47]

أو لعله يرى في ذاته أنه وصل إلى مقام الإله أو الرب المستحقّ للعبادة دون سواه. يقول في مقام آخر:

أنا أحبّك كي أدافع عن وجودي /وكتبت شعرا لا يشابه سحره/ إلا كلام الله في التوراة[48]

إنّ المرأة عند نزار هي المعادل الموضوعي لإثبات وجوده وفرض نفسه على العالم، وتحقيق مشروعه الشعري، لذلك لا تحضر في شعره إلا كجسد أنثوي عارٍ بكل مفاتنها الشهوانية الصاخبة، لقد جعل منها حبرا يسطّر به قصائده في تاريخ الشعر العربي.

بمثل هذه الرؤيا قارب الغذامي نماذج شعرية كثيرة لا يسعنا المقام للوقوف عندها، وانتهى إلى أن الشعر العربي بأنساقه المضمرة هو الذي صاغ العقلية العربية بكل تمظهراتها السياسية والاجتماعية والأخلاقية. فالشعر ديوان العرب فعلا؛ لكن ليس بطاقاته الجمالية فحسب؛ بل بأنساقه المضمرة أيضا.

خاتمة :

نجمل نتائج البحث في النقاط الآتية:

- يعدّ عبد الله الغذامي اسما بارزا في مجال النقد الثقافي عند العرب حيث استطاع أن يرسم إطاره النظري، وأن يضع خطوطه المنهجية، مؤلفه الكتاب الأول على مستوى الوطن العربي، وذلك لما تميّز به من عمق في الرؤيا، وتركيز في الطرح، وإضافة في الآليات النقدية. سعى الغذامي من خلاله إلى مراجعة المنظومة النقدية العربية الجاهزة التي ظلت راسخة لعهود طويلة دون مساءلة أو إعادة نظر، لكنه تسرّع قليلا حين أعلن موت النقد الأدبي وإحالته على التقاعد -بحسب تعبيره- حيث تبدو هذه الرؤيا ارتجالية وغير مؤسسة لا علميا ولا عمليا.
- من جهة أخرى؛ نعتقد أنه من المغالطة النقدية الكبيرة أن نحصر التجربة الشعرية لهؤلاء الشعراء الذين مثّلوا أعمدة الشعر العربي في ما أسماه الغذامي بالعيوب النسقية، ونتجاهل ما أحدثوه من إبداع شعري غيّر مسار الشعر العربي وخلخل بنيته التقليدية، بحجّة أنّ ما وراء الجمالي قبحيات وجب كشفها. وعليه؛ نرى أنه علينا أن نبقي للنقد الأدبي مهمّة كشف الجماليات، وللنقد الثقافي مهمة كشف الأنساق المضمرة الجمالية منها والقبيحة؛ إذ ليس بالضرورة أن يكون وراء الجميل قبيح دائما.
- استطاع الغذامي من خلال مشروع النقد الثقافي أن يتجاوز المنظومة النقدية الجاهزة، وأن يحدث نقلة نوعية في النقد العربي من خلال تبني الرؤيا الثقافية في تفسير النصوص والخطابات، باعتبار أنها وليدة سياقات ثقافية سائدة، ومن ثم وسّع من دائرة النقد عند العرب وطوّر آلياته.
- تميّزت الرؤيا النقدية لدى الغذامي بالجرأة والثقة بالنفس؛ من خلال النبش في مضمرات الخطابات العربية قديمها وحديثها شعرها ونثرها، والبحث عن الأنساق المضمرة التي تمّ التستّر عليها طيلة هذه القرون.
- ما يؤخذ على الغذامي؛ أنّه حمّل المدوّنة الشعرية العربية أكثر مما تحتمل حين رأى فيها حداثة رجعية تضمر أنساقا خطابية معيبة؛ تعبّر عن تخلّف المجتمعات العربية عبر عصورها القديمة والحديثة، كما ضرب بعرض الحائط نصوصا عربية ظلت لعهود طويلة تمثّل الخطاب الشعري العربي في جودته الفنيّة والجمالية والبلاغية .
- المغالاة في تبني آليات النقد الثقافي كبديل منهجي عن النقد الأدبي، وإعلان موت هذا الأخير

بحجّة فشل أدواته النقدية في استقصاء النصوص المستحدثة، وفي ذلك تجاهل وتنكّر لكل ما أداه النقد الأدبي.

الهوامش والإحالات:

1 - إبراهيم محمود خليل(2003) النقد الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحديثة – دراسة في نقد النقد- منشورات اتحاد الكتاب العرب ، د ط، دمشق، ص 121.

2- عبد العزيز حمودة (1998) المرايا المحدبة – من البنيوية إلى التفكيكية- المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، د ط الكويت، ص 267 .

3- عبد الله الغذامي(2005)النقد الثقافي –قراءة في الأنساق الثقافية العربية- المركز الثقافي العربي، ط3، المغرب، ص ص 13،15.

4- حسن البنا عز الدين (2004) ملامح النقد الثقافي في الخطاب النقدي الثقافي في العربي المعاصر، مجلة فصول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ع 63 ص 45.

5- عبد الله الغذامي: النقد الثقافي ، ص 45.

6- خالد سليمان(1422 ه) عبد الله الغذامي من الخطيئة إلى التكفير إلى النقد الثقافي كتاب الغذامي الناقد: قراءات في مشروع الغذامي النقدي ، مؤسسة اليمامة الصحفية ، ع 97-98 ص 148 .

7- عز الدين المناصرة (2005)النقد الثقافي المقارن منظور جدلي تفكيكي ، دار مجدلاوي للنشر ، ط 1 ، الأردن، ص 238

8- معجب الزهراني (1422ه) النقد الثقافي نظرية جديدة أم مشروع متجدد كتاب الغذامي الناقد: قراءات في مشروع الغذامي النقدي ، مؤسسة اليمامة الصحفية ، ع 97-98 ص 480.

- المرجع نفسه، ص 465. 9

10- نوال قريم، إلهام بولصنام:مرجعيات مشروع النقد الثقافي عند عبد الله الغذامي، مجلو علوم اللغة العربية وآدابها، الجزائر، ع3، م13، 04-11-2021 ، ص 1151.

11- عبد الله الغذامي: النقد الثقافي –قراءة في الأنساق الثقافية العربية- ص ص 83، 84.

12- المصدر نفسه، ص 84.

13- ميجان الروبي وسعد البازغي(2002) دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، ط 3، المغرب، ص 84.

14- عبد الله الغذامي: النقد القافي، ص 84.

15- محمد عابد الجابري (2009) نقد العقل العربي 1- تكوين العقل العربي، مركز وحدة للدراسات العربية، ط1، المغرب،ص 39.

16- عبد الله الغذامي: النقد الثقافي، ص ص 7،8.

17- حسن ناظم(2007) النسقية العربية واللفظية العربية في الحداثة العربية ضمن كتاب : آفاق النظرية الأدبية المعاصرة بنيوية أم بنيويات؟ تحرير وتقديم فخري صالح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، د ط، بيروت، ص 102.

18- عبد الله الغذامي النقد الثقافي، ص ص 57،58.

19- المصدر نفسه، ص 17.

20- عبد الله النوايتي(2016) السرد والأنساق الثقافية في الكتابة الروائية، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ط 1، الأردن، ص 108.

21- المكان نفسه.

22- سعيد يقطين (2014) الفكر الأدبي العربي – البنيات والأنساق- منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، ص 321.

23- المرجع نفسه، ص 77.

24- المرجع نفسه، ص 30.

25- نادر كاظم (2006) الهوية والسرد- دراسة في النظرية والنقد الثقافي- المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت،لبنان، ص 11.

26- عبد الفتاح كيليطو (2001) المقامات- السرد والأنساق الثقافية-تر: عبد الكريم الشرقاوي، دار توبقال، ط 1، المغرب، ص 07.

27- سعيد يقطين : الفكر الأدبي العربي، ص 109.

28- عبد الله الغذامي: النقد الثقافي، ص 65.

29-المصدر نفسه، ص 67.

30- المصدر نفسه، 71.

31- المصدر نفسه، ص 72.

32- المصدر نفسه، 74.
33- عبد الله الغذامي: النقد الثقافي، ص 74.
34- عبد الله الغذامي ، عبد النبي اصطيف(2004) نقد ثقافي أم نقد أدبي؟ دار الفكر، د ط، دمشق ، ص 54.
35- عبد الله الغذامي: النقد الثقافي، ص 119.
36- أحمد ابن فارس(د ت) مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر،د ط ، دمشق سوريا، ص 478.
37- الفيروز آبادي(2014) القاموس المحيط، تحقيق محمود مسعود أحمد،المكتبة العصرية، د ط، ص 333.
38- ابن منظور(د ت) لسان العرب،مج 11،دار صادر، د ط، بيروت لبنان، ص 518.
39- عبد الله الغذامي: النقد الثقافي، ص ص 122،123.
40- المتنبي(1930)الديوان ج 4، المكتبة التجارية الكبرى، د ط، القاهرة مصر، ص 84.
41- المرجع نفسه، ص 88.
42- عبد الله الغذامي: النقد الثقافي، ص ص 119، 120.
43- المصدر نفسه، ص ص 251،252.
44- جوزيف الخوري طوق(2005) نزار قباني شاعر الغزل، منشورات نزار قباني ، ط 2، بيروت لبنان، ص 127.
45- نزار قباني(1971) أحلى قصائدي، منشورات نزر قباني، د ط، بيروت لبنان، ص 20.
46- نزار قباني (2007) الأعمال الشعرية والسياسية المجموعة الكاملة ، منشورات نزار قباني، ط 16، بيروت لبنان، ص 221.
47- المرجع نفسه، ص 23.
48- المرجع نفسه، ص 369.

قائمة المصادر والمراجع:

1- إبراهيم محمود خليل(2003) النقد الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحديثة – دراسة في نقد النقد- منشورات اتحاد الكتاب العرب ، د ط، دمشق.
2- ابن منظور(د ت) لسان العرب، مج 11، دار صادر، دط، بيروت لبنان.
3- أحمد ابن فارس(د ت) مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، د ط ، دمشق سوريا.
4- جوزيف الخوري طوق(2005) نزار قباني شاعر الغزل، منشورات نزار قباني ، ط 2، بيروت، لبنان.
5- حسن البنا عز الدين (2004) ملامح النقد الثقافي في الخطاب النقدي الثقافي في العربي المعاصر، مجلة فصول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ع 63 .
6- حسن ناظم(2007) النسقية العربية واللفظية العربية في الحداثة العربية ضمن كتاب : آفاق النظرية الأدبية المعاصرة بنيوية أم بنيويات؟ تحرير وتقديم فخري صالح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، د ط، بيروت.
7- خالد سليمان(1422 ه) عبد الله الغذامي من الخطيئة إلى التكفير إلى النقد الثقافي كتاب الغذامي الناقد: قراءات في مشروع الغذامي النقدي ، مؤسسة اليمامة الصحفية ، ع 97-
8- سعيد يقطين (2014) الفكر الأدبي العربي – البنيات والأنساق- منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر.
9- عبد العزيز حمودة (1998) المرايا المحدبة – من البنيوية إلى التفكيكية- المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، د ط الكويت.
10- عبد الفتاح كيليطو (2001) المقامات- السرد والأنساق الثقافية-تر: عبد الكريم الشرقاوي، دار توبقال، ط 1، المغرب .
11- عبد الله الغذامي ، عبد النبي اصطيف(2004) نقد ثقافي أم نقد أدبي؟ دار الفكر، د ط، دمشق / سوريا.
12- عبد الله الغذامي(2005) النقد الثقافي –قراءة في الأنساق الثقافية العربية- المركز الثقافي العربي، ط3، المغرب .
13- عبد الله النوايتي(2016) السرد والأنساق الثقافية في الكتابة الروائية، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ط 1، الأردن.
14- عز الدين المناصرة (2005)النقد الثقافي المقارن منظور جدلي تفكيكي ، دار مجدلاوي للنشر ، ط 1 ، الأردن.

15- الفيروز آبادي(2014) القاموس المحيط، تحقيق محمود مسعود أحمد،المكتبة العصرية.د ط، القاهرة مصر.
16- المتنبي(1930)الديوان ج 4، المكتبة التجارية الكبرى، دط، القاهرة مصر.
17 -محمد عابد الجابري (2009) نقد العقل العربي 1- تكوين العقل العربي، مركز وحدة للدراسات العربية، ط1، المغرب .
18- معجب الزهراني (1422ه) النقد الثقافي نظرية جديدة أم مشروع متجدد كتاب الغذامي الناقد: قراءات في مشروع الغذامي النقدي ، مؤسسة اليمامة الصحفية ، ع 97-98.
19_ ميجان الروبي وسعد البازغي(2002) دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، ط 3، المغرب.
20- نادر كاضم (2006) الهوية والسرد- دراسة في النظرية والنقد الثقافي- المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت، لبنان.
21- نزار قباني (2007) الأعمال الشعرية والسياسية المجموعة الكاملة ، منشورات نزار قباني، ط 16، بيروت لبنان.
22- نزار قباني(1971)أحلى قصائدي منشورات نزر قباني، د ط، بيروت،
نوال قريم، إلهام بولصنام:مرجعيات مشروع النقد الثقافي عند عبد الله الغذامي، مجلو علوم اللغة العربية وآدابها، الجزائر، ع3، م13، 04-11-2021 .